النزاع العربي الإسرائيلي كما يتمثل في الأدب القصصي العربي

ترجمة عيسى الناعوري

كتب المستعرب الاميركي هوارد دوغلاس رولاند (من جامعة ميتشيغان ١٩٧١) رسالة دكتوراه بعنوان « النزاع العربي الاسرائيلي ، كما يتمثل في الادب القصصي العربي » . وقد رأينا ان نترجم فيما يلي اهم أجزاء التمهيد والمقدمة من هذه الرسالة .

— ١ —

من التمهيد :

لما كان النزاع العربي — الاسرائيلي مألوفا أشد الالفة لدى الكثيرين ، من المثقفين وغير المثقفين ، وغالبا ما يكون لهم رأي قوي فيه ، فان المرء قد يظن ان هذا النزاع قد اصبح أرضا موطأة للباحثين الراغبين في اجراء بحوث أكاديمية في مختلف جوانبه واتجاهاته . غير ان العكس أثبت انه هو الصحيح ، ولا سيما في هذا الحقل من الدراسات الادبية المتعلقة بهذه المشكلة القومية الكبرى . وحينما استقر رأي المؤلف على مشروع البحث والتحليل للنثر العربي القصصي المكتوب في هذا الموضوع منذ عام ١٩٤٨ ، كان يتوقع ان يقع على بعض الاعمال المنشورة في هذا الموضوع ، في العالم العربي طبعا ان لم يكن في الاقطار الغربية . ولكنه اكتشف انه حتى العالم العربي لم ينتج أبحاثا ودراسات كثيفة في هذا الميدان بشكل خاص . والمؤلف يتذكر جيدا ملاحظات غالي شكري ، الناقد المصري ، الذي قال له في مقابلة في مكتبه في بناية الاهرام ، في القاهرة ، في شهر اكتوبر عام ١٩٦٩ ، بغية الحصول على معلومات اضافية لمشروعه : « أنت تعرف في مشروعك اكثر مما نعرفه نحن . وكان علينا نحن العرب ان نفعل ما تفعله أنت » . وكان سماع هذه الكلمات مفاجأة في الواقع .

الا انه ، عند التأمل ، ليس من العسير معرفة الاسباب في نقص الدراسات الاكاديمية في هذا الميدان المعين . فأولا ، ما تزال معرفة اللغة العربية بشكل كاف مقصورة على عدد قليل جدا من الباحثين الغربيين وغيرهم . وتبعا لذلك فان المهتمين بهذا الموضوع ، او بالدراسات الادبية عامة ، لا يبدو انهم يملكون الاداة اللازمة لبلوغ الهدف . وثانيا ، في العالم العربي المعاصر عدد قليل نسبيا من الجامعات ذات التأهيل العالي ، وما تزال ضعيفة الى حد ما في حقل الابحاث الاكاديمية . ونتيجة ذلك انه ، على الرغم من ان هناك كثيرا من العرب الذين قد يكونون على معرفة جيدة بأدبهم المتعلق بالنزاع العربي — الاسرائيلي ، قليلون منهم هم خريجون او اساتذة في معاهد عليا للتعليم ، ويعملون — أو هم ضليعون — في هذا النوع من البحث المتخصص كليا ، واللازم لكتابة رسالة للدكتوراه في الآداب ، او لغيره من انواع البحث الاخرى . وثالثا ، البحث في مشكلة النزاع العربي — الاسرائيلي مغامرة سياسية حساسة ، بالنسبة الى الدول العربية وغيرها من الشعوب . وهذا يصح بصورة خاصة بالنسبة الى الباحث الاميركي الذي يقوم باجراء بحثه في الاقطار العربية ، وقد يكون صحيحا كذلك بالنسبة الى الباحث العربي ، نظرا الى نظام الحكم في بلده او في البلد الذي يجري فيه بحثه . وهكذا فان امكانية المجازفة قد تثبط همم الجميع ، الا من كان ذا اهتمام خاص حقيقي بالموضوع . والمؤلف الذي قام برحلات واسعة في كثير من الاقطار العربية ، ولديه الرغبة في ان يصبح مرجعا أكاديميا في جوانب مختلفة من العالم العربي المعاصر ، لديه هذا الاهتمام ، وهو راض بركوب المغامرة التي قد يؤدي عرضها ومضامينها الى اغضاب انصار الصهيونية ، أو العناصر الموالية للعرب ، أو كلا الطرفين . غير ان المؤلف ، عند هذه النقطة ، يود أن يؤكد حقيقة ، وهي ان جميع الكتاب والنقاد العرب ، في الواقع ، وكذلك الرسميون الذين قابلهم في لبنان ومصر ، رحبوا ترحيبا حارا وحماسيا باهتمامه بالنزاع العربي — الاسرائيلي ، ولو ان بعض الافراد قد أبدوا ارتيابا عارضا في دوافع بحثه هذا . ولكن لم يكن هنالك من يضع أي عائق في طريق المؤلف ، بل على العكس ، كان عرب البلدين ضيفين الى أقصى حد ، ومستعدين لبذل كل مساعدة .

البحث الاول في هذه الرسالة بدأ في جامعة ميتشيغان . وفي مكتبتها كثير من المواد والمصادر العربية . الا انه سرعان ما بدا ان على المؤلف ان يقوم برحلة الى الشرق الاوسط بغية العثور على كمية كافية من المصادر ، واستشارة اكتاب والنقاد العرب في المشروع . ولهذا الغرض أقام في بيروت شهرين من صيف سنة ١٩٦٩ تحديدا للاماكن ، وبحثا عن المصادر الاضافية . وفي الوقت نفسه أجرى مقابلات مع باحثين مختلفين ومؤلفين لاعمال أدبية تتعلق ببحثه . وكلما أمكن كانت الكتب والمجلات المشتملة على هذا الادب المطلوب دراسته ، تشترى من المكتبات ودور النشر البيروتية . وأما بقية المصادر فقد وجدت في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت ، حيث تتوافر مجموعة ممتازة من المجلات الادبية العربية المعاصرة ، وأعمال الادباء العرب الحديثين . ومن أهم ما استنار به بشكل خاص المقابلات التي أجراها في بيروت مع غسان كنفاني ، أشهر المؤلفين في حقل القصة العربية

المتعلقة بالقضية الفلسطينية ، وسهيل ادريس ، رئيس تحرير مجلة « الآداب » اللبنانية الطليعية الشهيرة ، واحد المدافعين العنيدين الآن عن الادب الثوري العربي بجميع اشكاله . وبعد الحصول على أغلب المصادر في بيروت ، ودراستها دراسة باحثة ، انتقل المؤلف الى القاهرة بغيه اكتشاف مصادر مصرية اخرى في هذا الحقل ، وللشروع في الكتابة الفعلية لهذه الرسالة . وقد وجد ان الجامعة الاميركية في القاهرة لديها أكمل مجموعة وأدقها تنظيما وتهيئة للاستعمال من المجلات المصريه . وفي القاهرة كذلك اغتنم المؤلف الفرصة لمقابلة غالي شكري ، وهو ناقد أدبي معروف وله اهتمام بهذا النوع من الادب ، وسليمان فياض ، وكان قد برز اخيرا واحدا من اجرأ النقاد المصريين وكتّاب القصة المهمين .

كان المؤلف يأمل في البداية ان يعرف أماكن وجود الروايات والاقاصيص والتمثيليات المكتوبة بالعربية والمتعلقة بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي ، وان يشرع في قراءتها . ولكنه سرعان ما بدا له ان من المستحيل تحقيق هذه المهمة ، لان حجم المصادر ضخم للغاية ، وليس من العملي ولا مما يفيد كثيرا ان يحاول البحث في جميع أسواق الكتب ، وفي اعداد المجلات الادبية العربية المعاصرة في جميع الاقطار العربية . فتوقف المؤلف عن البحث حين احس بانه قد نجح في قراءة كمية كبيرة وهضمها من المواد التي كانت ، في الواقع ، اكثر كثيرا مما يكفي لتمثيل مجموعة الادب المكتوب في هذا الموضوع . ولهذا ، وعلى الرغم من ان المؤلف لا يمكنه ان يزعم انه قرأ كل الاعمال القصصية العربية المكتوبة حول مشكلة النزاع العربي ـ الاسرائيلي ، فانه ما يزال من رأيه ان المواد التي بحثها وقدمها كانت من الضخامة بحيث تكفي لتجعل من هذه الرسالة عملا موسوعيا في طبيعته ، على الاقل ريثما يقوم في المستقبل باحث آخر يتوسع في الهدف والمصادر التي يرجع اليها .

ولما كانت جميع المصادر الاصلية ، واغلب المصادر الثانوية المدروسة مكتوبة باللغة العربية ، فقد اقتضت كتابة هذه الرسالة ، بحكم الضروره ، ترجمة الشيء الكثير من العربية الى الانكليزية . وكان هذا حقا من صلب الرسالة ، وكان بطبيعة الحال الهدف المباشر للملحق (ب) الذي يتألف من عدد من الاقاصيص العربية المترجمة الى الانكليزية . وعلى الرغم من ان المؤلف قد بذل كل جهد ممكن لكي يفهم المصادر العربية ويفحصها جيدا ، فقد شعر بأن عليه ان يضع نصب عينيه بشكل رئيسي نقل الاصل العربي الى عبارة انكليزية جيدة ومقروءة . ويصح هذا بشكل خاص في ترجمة النثر الوصفي والحوار في الاعمال القصصية التي تقتضي أن يعكس الموضوع فيها على القارىء الانكليزي التأثير عينه الذي يعكسه على القارىء العربي . وأما ترجمة النثر السردي والنقد الادبي ، فقد عولجت بطريقة اكثر حرفية ، لان الجمال والانسياب اللغوي أمران ثانويان في مثل هذه الكتابات . (...)

عندما يعالج المرء موضوعا مثل النزاع العربي ـ الاسرائيلي ، هو في غاية الحساسية السياسية ، عليه أن ينتبه انتباها حذرا للالفاظ والتسميات التي يستخدمها في وصف القضايا ، والاشخاص ، والحكومات ، والاوضاع العقائدية ، وما الى ذلك ، والا عرّض نفسه لتهمة الانحراف او عدم الدقة . غير ان مستويات الكتابة الانكليزية الجيدة تقتضي ان ينوّع المرء في مفرداته ، وفي اختياره للالفاظ ، بحيث يرضي اسلوبه الكتابي حساسيات القارىء . ولهذا ، مثلا ، يشار الى « النزاع العربي ـ الاسرائيلي » أحيانا بعبارة من مثل (القضية الفلسطينية) أو (المشكلة الفلسطينية) او (الازمة العربية ـ الاسرائيلية) أو (الكفاح العربي ـ الصهيوني) الخ ، وكلها تعني الشيء نفسه تماما ، ولو أن الغربيين عامة يستعملون عبارة (النزاع العربي ـ الاسرائيلي) ، بينما يعبر عنها العرب بعبارة (القضية الفلسطينية) أو (المشكلة الفلسطينية) . وكلمة (فلسطين) تعني فلسطين كما كانت معروفة قبل عام ١٩٤٨ ، او فلسطين الجغرافية (التي تشمل اليوم دولة اسرائيل ، والضفة الغربية) (١) وقد بذل كل جهد ممكن للاشارة الى اسرائيل باسمها عند التخصيص . غير أن القارىء سيوافق على ان (فلسطين) هي الكلمة الوحيدة التي يمكن استعمالها ، مثلا ، عندما يناقش المرء حنين اللاجىء العربي للعودة الى وطنه . أما بالنسبة الى الكلمات (اسرائيلي ـ يهودي ـ صهيوني) فان هذه المفردات ، كما يستعملها الكتاب العرب في الاعمال الادبية المدروسة هنا ، تعني عموما مترادفات ذات معنى واحد . غير أن المؤلف تجنب استعمال لفظة (اسرائيلي) بمعنى (يهودي) او (صهيوني) للفترة السابقة سنة ١٩٤٨ ، لان اسرائيل لم تكن موجودة آنذاك كدولة . والمؤلف ، بشكل عام ، يؤثر ان يستعمل كلمة (صهيوني) أو (اسرائيلي) لليهودي ، أو لليهوديه ، لان اللفظتين السابقتين أدل على تحديد اليهود المقصودين ، ولا تشملان اليهود الكثيرين خارج اسرائيل الذين لا يلعبون دورا في المشاركه المباشرة في النزاع ، وبذلك ليس لهم دور ، او كان لهم دور ضئيل في هذه الرساله . ومرة ثانية ، قد يكون من المهم ان اسير الى ان الكتاب العرب يفضلون استعمال لفظة (صهيوني) و (اسرائيلي) لان (الصهيوني) تعني ذا العقيدة القومية من اليهود ، و (الاسرائيلي) تعني المواطن اليهودي في اسرائيل ، بينما تعني لفظة (اليهودي) او (اليهودية) ، المؤمن بالديانة اليهودية ، وقد لا يكون هذا صهيونيا ولا اسرائيليا .

ان عددا من الاشخاص والمؤسسات قدموا مساعدات للمؤلف في جهوده الرامية الى انمام هذه الرسالة ، وهو يود الآن يغتنم هذه الفرصة ليؤدي لبعضهم واجب الشكر ، معربا عن أسفه في الوقت نفسه لان المجال لا يسمح بتقديم العرفان للجميع . وفي المكان الاول هنالك أعضاء لجنة الرسالة : الدكاترة لي غاسيك ، رموني ، بيلامي ، ماك كاروس ، وفيلهايم ، الذين جادوا بوقتهم وارشادهم ومشورتهم وتشجيعهم . ولقد قدم رئيس اللجنة الدكتور لي غاسيك خاصة معونته الثمينة في مساعدة المؤلف على تنسيق المشروع برمته ، واجازة أسلوبه الكتابي . والمؤلف مدين كذلك بالشكر لمركز دراسات الشرق الاوسط والشمال الافريقي في جامعة ميتشيغان ، الذي يرأسه الدكتور وليم سكورجر ، وكذلك لمركز الابحاث الاميركي في مصر ، لتوفيره المنح اللازمة للقيام بهذه الابحاث في بيروت والقاهرة . وهو كذلك يود ان يشكر المؤلفين والنقاد العرب العديدين ، من امثال : (حليم بركات ، غسان كنفاني ، سهيل ادريس ، عيسى الناعوري ، غالي شكري ، سليمان فياض) وغيرهم لاهتمامهم بعمله ، وتزويدهم اياه بالمعلومات المفيدة ، ولنفاذ بصيرتهم في نظرتهم الى طبيعة النزاع الكبير الذي كتبوا فيه بغزارة ووفرة .

ـ ٢ ـ

من المقدمة :

ان النزاع العربي ـ الاسرائيلي لهو من المشاكل العالمية المعاصرة الشائكة جدا ، وما تزال تتحدى جهود العديد من زعماء الدول ، والمفكرين ، والخبراء في الشؤون الدولية الذين حاولوا حلها . الا ان الكثير من وجوه المشكلة قد نال دراسة جيدة ، وتتزايد اعداد الدراسات والابحاث الاكاديمية المتعلقة بها تزايدا مطردا بتزايد الناس الذين اخذوا يدركون ، في جميع الاقطار ، أهمية هذا النزاع ، لا بالنسبة الى العرب والى الاسرائيليين أنفسهم فحسب ، بل بالنسبة الى الاطراف الثالثة كذلك ، التي اما أن تكون معنية ومتورطة بها ، واما انها قد تتأثر بها بشكل ما .

ان اولئك الذين يعيشون منا في اوروبا ، وفي نصف الكرة

---

(١) سها المؤلف عن ذكر قطاع غزة كذلك (ع. ن.) .

الغربي عامة ، هم اكثر معرفة بوجهة النظر الاسرائيلية بالنسبة الى المواجهة العربية ـ الاسرائيلية . ويعود هذا الى عوامل متعددة ، لن يحاول المؤلف تحليلها في هذه الرسالة . الا ان أحد هذه العوامل هو ان الادب القصصي والروائي الصهيوني ، او الموالي للصهيونية ، قد نال انتشارا واسعا بين قراء اللغات الغربية ، وكان له تأثيره في تكوين اتجاهاتهم وآرائهم حول الصدام بين العرب والاسرائيليين . وأحد الامثلة المعروفة جدا من الاعمال الروائية الموالية للصهيونية رواية (الخروج ـ EXODIS) لليون يوريس ، التي ترتكز على قاعدة من فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية في فلسطين ، التي أدت الى قيام دولة اسرائيل .

ومن جهة اخرى كانت وجهة نظر العرب تصل الى العالم الغربي بشكل باهت جدا ، ولم تنل فيه الا انتشارا ضئيلا . وفي الادب القصصي والروائي ، ليس للعرب ما يصل الى مستوى (الخروج) المؤيدة للصهيونية . اي انه ليس ثمة رواية ناجحة تمثل وجهة نظر العرب في الازمة العربية ـ الاسرائيلية ، تستطيع ان تجد لها رواجا بين القراء الغربيين . غير ان الادب النثري العربي في موضوع النزاع العربي ـ الاسرائيلي موجود ، ولكن لم ينشر منه في الواقع شيء في أية لغة غربية .

ويود مؤلف هذه الرسالة ان يقدم لقراء اللغة الانكليزية تحليلا للادب القصصي والروائي العربي الذي يرتكز على قاعدة من النزاع العربي ـ الاسرائيلي . وحسبما يعلم المؤلف ، لم تجر قط أية محاولة لمثل هذه المهمة على نطاق واسع ، حتى من قبل العرب أنفسهم . والمؤلف يهدف بالتحديد الى تقديم الاعمال المتوافرة من النثر القصصي والروائي والتمثيلي المكتوب باللغة العربية خلال الفترة الواقعة ما بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٩ ، ومناقشته . وهو يأمل ان تساعد هذه الرسالة ـ وهي نتيجة بحث هذا الادب ـ على سد الثغرة ، سواء في البحوث الاكاديمية ، ام في المعرفة العامة المتعلقة بوجهة نظر العرب ، واستشراف الحقيقة التي ينظرون بها الى مواجهتهم مع اسرائيل ، كما يصورها كتّابهم .

اما السؤال المحدد الذي يحاول هذا العمل الاجابة عنه ، فانه ذو صلة بعوامل الاهتمام العامة التالية :

١ ـ ما هي الاعمال المكتوبة ؟

٢ ـ كيف يصور الكتّاب العرب المواجهات العسكرية الرئيسية في النزاع العربي ـ الاسرائيلي ؟

٣ ـ كيف جاءت صورة العرب عموما على أقلام الكتّاب من أصحاب هذا اللون من الادب ؟

٤ ـ كيف جاءت صورة اليهود ؟

٥ ـ كيف ينظر الكتّاب العرب الى اللاجئين ؟

٦ ـ ما هي الاهمية التي يعلقها الكتّاب العرب على حركة الفدائيين العرب التي برزت اخيرا ؟

٧ ـ كيف يقيمون هذا الادب : من حيث نوعيته العامة ، وتطوره ، وأهميته ؟

هذه الاسئلة العامة تنسحب كما يلي :

١ ـ ما هي الاعمال المكتوبة ؟

تعنى هذه الرسالة بالاعمال النثرية القصصية العربية التي تنقسم ، لغايات هذا البحث ، الى ثلاث فئات : روايات ، أقاصيص ، وتمثيليات . فما هي الروايات والاقاصيص والتمثيليات ذات الطابع الخاص التي كتبت ؟ ما هو مضمونها ؟ وكيف تبدو حبكتها ؟

٢ ـ كيف يصور الكتاب العرب المواجهات العسكرية الرئيسية في الازمة العربية الاسرائيلية بالنظر الى العالم العربي ؟

المواجهات العسكرية الرئيسية في هذه الازمة تعني هنا الصدامات العسكرية ، او الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ ، وحرب سيناء عام ١٩٥٦ ، وحرب حزيران عام ١٩٦٧ .

وفيما يتعلق بالصدامات المسلحة الثلاثة بين العرب والاسرائيليين يبحث المؤلف عن جواب لهذا السؤال : في رأي هؤلاء الكتّاب الغرب (ضمنا او تصريحا) لماذا خسر العرب كل هذه المجابهات العسكرية الثلاث ؟ وكم من اللوم يقع على العرب أنفسهم ، وكم من مسؤولية هزيمتهم يعود الى تفوق الجيش الاسرائيلي ، او الى الدعم الاقتصادي والعسكري الذي تقدمه قوى أجنبية الى الاسرائيليين ؟

في قضية الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ ، يدعي العرب ، ويتمثلون على اسباب الهزيمة ، بفساد وضعهم الذين اما انهم كانوا يستفيدون من بيع الاسلحة الفاسدة الى جيوشهم (١) ، واما انهم سلموا قيادة جيوشهم الى أيد غير مخلصة للعرب (مثل غلوب باشا ، الذي كان قائدا للجيش العربي الاردني) (٢) . وهناك سبب آخر كثيرا ما يرد ، وهو النقص العام في السلاح والذخيرة لدى العرب (٣) . فما حجم الدور الذي تلعبه هذه العوامل في الادب القصصي والروائي الذي يعالج أحداث عام ١٩٤٨ ؟

والذين يعرفون وجهة نظر العرب حول حرب سيناء عام ١٩٥٦ بين الاسرائيليين والمصريين ، يعلمون ان الكثيرين من العرب يرون انه لم تجر مجابهة عسكرية شاملة تامة ، في الواقع ، بين الجيشين الاسرائيلي والمصري . فهم يزعمون ان المصريين ، قبل التقدم الاسرائيلي في سيناء ، رأوا من الضروري أن ينسحبوا غربا الى منطقة قناة السويس ، لكي يتمكنوا من مجابهة التهديد العدواني البريطاني ـ الفرنسي (٤) . والمسألة الواضحة جدا التي تعنينا هنا ، اذن ، هي التي تثير السؤال التالي : هل يتخذ الكتّاب موقفا من قضية هزيمة سيناء عام ١٩٥٦ ، أم تراهم يفسرونها كما يطيب لهم ؟ واذا كانوا يعالجونها ، او يشيرون اليها ، فكيف يفعلون ذلك ؟

وحرب حزيران عام ١٩٦٧ ، كانت حربا لا يمكن ان يستهين بها أحد . والواقع ان العالم بأسره ، عن طريق وسائله المتقدمة في نقل الاخبار ، كان وثيق الاتصال بكل خطوة من التقدم العسكري الاسرائيلي ، وكل خطوة من التقهقر العربي . وفيما يتعلق بالعرب كان ذلك رجة ساحقة ، كما كان كارثة قومية جماعية أصابت منطقة جديدة برمتها ، واستوجبت اعادة تنظيم الاوليات على جميع مستويات الحياة في المجتمع العربي . فكيف يعرض المؤلفون العرب سير هذه الحرب ، وكيف يفسرون خسارتهم السريعة لها عسكريا ؟ آن الذين تتبعوا حرب حزيران عن كثب ، يذكرون ان بعض الزعماء العرب قد ادعوا في البداية (ثم تراجعوا عن ذلك الادعاء فيما بعد) ان تدخلا أجنبيا على نطاق واسع قد أعان الاسرائيليين على الانتصار في الحرب . فهل يؤيد المؤلفون العرب هذه النظرية ، أم انهم يتجاهلونها ، او حتى

---

(١) جلال يحيى : « العالم العربي الحديث » ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٢٨٦ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ . (وهذا كتاب تاريخ حديث للشرق الاوسط ، كتبه مؤرخ مصري معروف ، ولذلك يمكن اعتباره ، منطقيا ، ممثلا لوجهة نظر المفكرين العرب فيما يتعلق بالمشكلة العربية ـ الاسرائيلية) .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٩٢ ، ٣٣٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٧٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٩ ، ٤٥٥ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٦٠٤ ، ٦٠٥ .

يرفضونها ؟

٣ ـ ما هي صورة العرب عموما لدى كتاب هذا اللون من الادب العربي ؟

هذه ، في الواقع ، قضية شاملة ، لان اغلبية الاشخاص في الادب العربي المتعلق بالنزاع هم ، بحكم الضرورة ، عرب . الا ان المسالة قد وضعت بهذا الشكل لاهميتها في المقارنة بين صورة العرب وصورة الصهيونيين الاعداء .

ان كل أمة لها نوع من أدب الحرب الذي يمجد أبطالها الحربيين، عادة ، غير ان الفضائل الممجدة في الاشخاص المختلفين في مثل هذا الادب قد تختلف بعض الاختلاف ، تبعا للمزايا والفضائل التي تمجدها عادة الفئة الوطنية التي تكتب فيها . أما فيما يتعلق بالادب العربي ذي الصلة بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي ، فما هي المزايا التي تستحق التمجيد في الاشخاص اكثر من سواها ؟ وبكلمة اخرى ، هل جميع الجنود العرب بواسل ويتحدون الردى ؟ أم هل ثمة اعتراف بأن بعض الجنود العرب (كجنود أية أمة من الامم) سيفقدون أعصابهم عندما يصطدمون باحتمال ابادتهم ؟ (في كل شريط حربي اميركي او رواية حربية ، تقريبا ، تعالج قضية الجبن في المعركة ، وكثيرا ما يكون ذلك بكثير من العطف) . وأية مزايا انسانية اخرى ، ايجابية او سلبية ، ما عدا قضية الشجاعة والجبن ، يرى العرب في انفسهم حين يكونون في ساحة القتال ؟

ليس بي حاجة الى القول ان علينا ان نتطلع الى اكتشاف اهم المزايا الماثلة في الاشخاص الرئيسيين خارجا عن ميدان القتال . وعلى العموم ، هل هم نماذج مثالية أم هم في صورة مخلوقات آدمية عادية، ولهم مقدار عادي من المزايا ؟ وربما كان من الاهم ان نتساءل الى أي مدى يحلل العرب ما فيهم من ضعف ، لكي يساعدنا هذا على تفسير هزيمتهم ؟

ان المثقفين العرب يهتمون اهتماما كبيرا ، في الغالب ، بتغيير وضع المرأة العربية وتحسينه . ولعلم المؤلف بهذا ، يتطلع الى ان يعرف ان كان كتّاب القصة العرب يعالجون ـ والى أي حد ؟ ـ مشكلة تحرير المرأة ومساواتها بالرجل في هذا النوع من الادب ؟ هل يكتفون بالتأكيد على فضائل المرأة العربية التقليدية ، كالعفة والحشمة ـ وهما من بقايا حياة العزلة عن الرجل ـ ، أم تراهم يهتمون بتصوير المرأة العربية مخلوقا آدميا متطورا (أو لا بد من تطوره) لكي تساعد الرجل في الكفاح المشترك ؟ هذه الاسئلة ، في الواقع ، تنطبق بشكل خاص على النساء الكاتبات العربيات ، وعددهن غير قليل ، اللائي يكتبن في موضوع النزاع مع اسرائيل .

ان كل من يزور البلاد العربية مدة طويلة ، وعلى الاخص كل من يقرأ الصحافة العربية بشيء من الانتظام ، يعلم ان للعرب وعيا حاذقا ، بل ربما مفرطا ، لاثر الخونة والجواسيس بينهم . وسيكون لذلك من المهم ان أذكر كيف يعالج (الخونة) في هذا الادب ، وما هي الدوافع الى خيانتهم .

ومما يتصل بهذه الفكرة اتصالا وثيقا ، قضية مدى اعتبار كتّاب القصة العربية لحكوماتهم ـ في الحاضر والماضي على السواء ـ حكومات خائنة ، أم معادية ، أم لا مبالية للمطامح الوطنية للشعوب العربية فيما يتعلق باسترداد فلسطين . من هم مشاهير العرب الذين يرون فيهم « أعداء للشعب » ، مثلا ؟ ان الاجابات على هذا يمكن ان تبين لنا الى أي حد كان الادب العربي المتعلق بالنزاع مع الصهيونية « ضد الدولة » و « ثوريا » ، وهدفه المجتمعات العربية والحكومات .

وأما نظرة الكتّاب العرب الى اللاجئين العرب في دورهم كلاجئين، فسنعالجها في فصل خاص . ولهذا فان السؤال الذي سيطرح حول طبيعة اللاجئين وعملهم ، سيعالج منفردا فيما بعد .

٤ ـ كيف جاءت صورة اليهود ؟

من الطبيعي ان أي نوع من أدب الحرب أو « النزاع » لن يكون لطيفا مع الاعداء ، ولا سيما متى كان العدو في واقع الحياة مستمرا في انتصاراته . ولهذا لا بد للمرء ان يتوقع ان يكون تعرض الادب العربي لليهود الصهيونيين ، الاسرائيليين منهم وغيرهم على السواء ، غير خارج عن هذه القاعدة . ومع ذلك كان مؤلف هذه الرسالة شديد الرغبة في أن يعرف بأية طريقة يصور العرب اليهود تصويرا سلبيا ، لان معرفة ذلك ستساعد ، دون ريب ، على فهم النزاع في مجمله .

فمثلا ، ما دام الواقع ان الاسرائيليين كانوا ، وما زالوا ، اعداء للعرب في الحرب ، فالى أي مدى يراهم العرب (مثلما ترى أية أمة أعداءها) قساة في مجموعهم ومتوحشين ، والى أي مدى يصورونهم في صورة البشر ؟ وما هي المزايا السلبية التي ينعتون بها طبيعة الصهيونيين ؟ وهل يظنون ان لليهود الصهيونيين مزايا ايجابية تستحق الاعجاب ، واليها يعزى الفضل في انتصاراتهم في النزاع العربي ـ الاسرائيلي ؟

كثيرا ما يصرح العرب بانهم يميزون تمييزا كبيرا ، في شعورهم وتصرفاتهم ، بين اليهود الصهيونيين الذين يدعمون اسرائيل ويناصرونها ، واليهود غير الصهيونيين الذين لا يشعرون بالولاء ولا بالعطف نحو اسرائيل . ووفقا لهذا الخط في التفكير ، ليس لدى العرب أي شعور سيىء نحو اليهود غير الصهيونيين . فهل تؤيد أعمال الادباء العرب هذه الفكرة ؟ وهل تعطي أعمالهم عن هؤلاء اليهود غير الصهيونيين صورة حسنة الى حد ما ؟

٥ ـ كيف يصور الكتاب العرب اللاجئين ؟

من المتوقع ان يلعب موضوع العدد الكبير جدا من اللاجئين الفلسطينيين وخروجهم من أرضهم دورا رئيسيا في الادب العربي المتعلق بالنزاع القومي مع اسرائيل . فهناك وجوه متعددة واضحة للاهتمام بنظرة الكتّاب العرب الى اللاجئين وتصويرهم لهم . اول هذه الوجوه هو : كيف يصورون الحياة في مخيمات اللاجئين ؟ وما دام من المفروض انهم لن يصوروها صورة مرضية ، فما هي الوجوه المحددة من حياة المخيمات التي تتميز بكونها أدل على شقائهم ؟ والى أي مدى يظهرون في صورة أناس عاجزين محشورين في مخيم لا أمل فيه في المستقبل ؟ والى أي حد يبرزون في صورة أناس قادرين على الاستفادة من ظروفهم السيئة ؟ ومن هم الناس ، أو المؤسسات ، الذين يمكن نعتهم بانهم اهداف لنقمة اللاجئين وامتعاضهم ، الى جانب يهود اسرائيل ؟

هنالك مشكلتان محددتان لهما علاقة بكون اللاجئين لاجئين : الاولى ذات صلة بسبب نزوح اللاجئين عن فلسطين تاركين خلفهم بيوتهم ، وأملاكهم ، ووطنهم . ان الطرفين المتعاديين يعطيان ، على العموم ، أسبابا متناقضة لنزوح اللاجئين : فالاسرائيليون يزعمون ان زعماء العرب في ذلك الحين قد أرغموا العرب الفلسطينيين على النزوح عن منطقة القتال ، لكي يعودوا بعدئذ مع الجيوش الظافرة . اما العرب فيقولون ان الصهاينة قد طردوهم من منازلهم ، وأخرجوهم من فلسطين أو أرهبوهم في اثناء خروجهم (١) . فما هي الاسباب التي وردت في الادب العربي حول اسباب نزوحهم ؟ اتراهم حاربوا كما كان يمكنهم ان يحاربوا للدفاع عن انفسهم ضد الصهاينة ؟ وهل يشعر الكتّاب العرب ، أيما شعور ، بالخجل من نزوح اللاجئين ؟ وهل يصورون اللاجئين في صورة من يخجلون من أنفسهم لانهم لم يقاتلوا العدو حتى « الموت الشريف » في ميدان القتال ؟ وفي رأي كتّاب القصة

---

(١) ارسكين تشايلدز : « الخروج الآخر » (نيويورك ، منشورات بانتام ـ ١٩٦٩ ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥) .

والرواية العرب ، هل كان في استطاعتهم ان يقاتلوا حقا ؟

اما المشكلة الثانية فهي التي تتعلق بهوية اللاجئين ، ومدى اندماجهم في بيئاتهم الجديدة . فعلى الرغم من ان اللبنانيين ، والسوريين ، والاردنيين ، والعراقيين ، والمصريين شعوب عربية كالفلسطينيين ، يظل الواقع ان هؤلاء الفلسطينيين لم يندمجوا في بيئات « شقيقاتهم من الاقطار العربية » . وفي أعمال الكتّاب العرب الى أي مدى يبرز اللاجئون الفلسطينيون « أجانب يعيشون في الغربة » في البلدان العربية الاخرى ؟ وهل يظهر اللاجئون في صورة تجعلهم لاجئين ، منعزل أغلبهم في مخيمات ، وأما بعدم القيام بأي جهد كاف لتدمير دولة اسرائيل لتمكينهم من العودة بحرية الى بيوتهم ؟

٦ ـ ما هي الاهمية التي يعلقها الكتاب العرب على حركة الفدائيين العرب التي برزت حديثا ؟

بعد الهزائم العسكرية الثلاث على أيدي الاسرائيليين : ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ، أخذ العرب يرون أملهم في حركة الفدائيين العرب التي برزت من جديد ، وراحوا يشبهونهم بجماعة فيدل كاسترو ، وتشي غيفارا ، وهوتشي منه ، وماوتسي تونغ ، وقادة الثورة الجزائرية . وخلال السنتين الماضيتين ، او السنوات الثلاث (١) ، عمدت الصحف والمجلات العربية الى منح بذور الفدائيين وتدريباتهم من أجل النصر تغطية واسعة ، وكثيفة .

والذي يحلل الادب القصصي العربي الذي يتعلق بالنزاع ، يجد أمامه مسألة واضحة ، وهي ما اذا كان الكتّاب العرب قد ركزوا (والى أي حد) على حركة الفدائيين العرب كمادة لرواياتهم وأقاصيصهم وتمثيلياتهم . وزيادة على هذا ، من الطبيعي ان يتوق المرء الى ان يكتشف كيف صوروا الفدائيين باعتبارهم بشرا ومحاربين، ولماذا أصبحوا فدائيين .

٧ ـ كيف يقيّم هذا الادب ، من حيث نوعيته العامة ، وتطوره ، وأهميته ؟

وفيما يتعلق بتطور هذا الفرع من الادب العربي خلال الاعوام العشرين الاخيرة ، متى تمت كتابة هذا الادب ، وكم كانت الكمية المكتوبة منه ، وفي أية فترة كتبت ، ولماذا ؟ واما من حيث النوعية الادبية ، فكيف تغيرت وتطورت ـ ان كانت قد تطورت ـ أسلوبا ، وتناولا ، منذ بداية فترة الاعوام العشرين ؟

بعد البحث في خصائص طبيعة الادب القصصي والروائي المتعلق بالنزاع مع اسرائيل ، يضطر المرء الى ان يتساءل : ما فضل هذا الفرع من الادب اذا ما قيس بالادب العربي القصصي والروائي بمجموعه ؟

كيف يقيّم النقاد العرب هذا اللون من الادب العربي ؟ هل يعتبرون ان الادب العربي المتعلق بنزاعهم القومي مساو لمستوى الادب القصصي والروائي العربي عامة ، سواء في النوع الكتابي ام من حيث كمية الاعمال المنتجة ؟ وهل يقارنون بين الادب القصصي العربي المتعلق بالمشكلة العربية ـ الاسرائيلية ، وأنواع الادب القصصي الاجنبي التي تعالج حركات نضال ومقاومة قومية مشابهة له ؟ وما هي ، عندهم ، أسباب الوفرة أو النقص في الاعمال الادبية الجيدة التي تعالج النزاع؟ وهل يشعرون بأن أدبهم قد أحاط بآفاق المشكلة احاطة عادلة ؟

ان الاجابات عن هذه الاسئلة العامة ، وما يتفرع عنها من أسئلة عديدة محددة ، سيؤلف هيكل هذه الرسالة .

ولقد اختار المؤلف ، كما بيّن من قبل ، ان يبحث في الصيغ الثلاث الرئيسية للنثر القصصي العربي في موضوع الازمة العربية الاسرائيلية ، وهي : الروايات ، الاقاصيص ، والتمثيليات . ولا بد من الاعتراف بأن النثر القصصي ليس ، في العادة ، الوسيلة الاكثر شيوعا التي يعبر بها العرب عن أفكارهم وآرائهم . فلقد كان الشعر ، وما يزال ، الوسيلة الرئيسية في الادب العربي منذ أقدم الازمنة . وفي القرن العشرين فقط شرع العرب ، في الواقع ، يطورون قابليا هم بكتابة الروايات ، والقصص القصيرة ، والتمثيليات . وكان الشعر ـ ولعله ما يزال يلعب الدور الاكبر في الادب العربي ـ أفضل طريقة معروفة كذلك يسكب الادباء العرب في صيغتها الادبية مشاعرهم حول المشكلة الفلسطينية . وتكاد جميع المجلات الادبية العربية التي تصدر في البلدان العربية المجاورة لاسرائيل تنشر في كثير من الاحيان ما يدعى بـ « شعر المقاومة » ، الذي يعني الشعر المنظوم في موضوع الازمة العربية ـ الاسرائيلية . ومن أشهر الشعراء المعاصرين في هذا اللون من الشعر ، محمود درويش ، وهو عربي فلسطيني يعيش في اسرائيل (٢) . وقد كتب غسان كنفاني في كتابه « ادب المقاومة في فلسطين المحتلة : ١٩٤٨ ـ ١٩٦٦ » باسهاب عن العرب الفلسطينيين في اسرائيل ، من أمثال محمود درويش ، الذين عبروا في شعرهم عن روح المقاومة العربية للقوانين الاسرائيلية .

ومع انه لا يمكن لاحد ان يتجاهل أهمية الشعر في الادب العربي المتعلق بالازمة مع اسرائيل ، أو في أي موضوع آخر ، فان هذه الدراسة لن تتعرض له ، لسببين أساسيين : ١) ان كمية الشعر في المشكلة الفلسطينية من الضخامة بحيث تكفي مادتها لرسالة ، أو أكثر من رسالة واحدة جامعية . ٢) ان المؤلف يعوزه الاحساس الحدسي في اللغة العربية ، والمعرفة الخبيرة في الشعر العربي ، وهما ضروريان لمثل هذه المهمة .

ولكن ، على الرغم من حداثة العهد ببدايات النثر القصصي نسبيا ، فانه ماض بسرعة شديدة في اكتساب شعبية كبيرة في عالم الادب العربي ، بفضل نفوذ الآداب الغربية وتأثيرها على الكتّاب العرب ، وبفضل اتساع نطاق الثقافة في العالم العربي معا . والنثر الادبي القصصي يقدم أيضا الى الجمهور العربي ، عن طريق الافلام السينمائية ، والتلفزيون ، مثلا ، مما يفيد في رفع مستوى الاهتمام بهذه الصيغة الادبية .

. . . . .

(تلي هذا نحو ثلاث صفحات في سرد المصادر التي استقراها المؤلف للحصول على المادة التي درسها لرسالته ، والتي تتألف من: ١٢ رواية ، ١٦٦ أقصوصة ، و ٩ تمثيليات . وهذه المصادر هي مجلات عربية تصدر في أقطار عربية مختلفة ، ولكن أهمها على الاطلاق مجلتا (الآداب ـ والاديب) في لبنان ، الى جانب المجموعات القصصية، وكتب الروايات التي اجتمعت له . وليس من غرضنا ههنا أن نترجم هذا السرد لقلة أهميته بالنسبة الى القارىء العربي) .

ترجمة عيسى الناعوري

---

(١) كتب المؤلف هذه الرسالة عام ١٩٦٩ .

(٢) كان ذلك قبل ان يضع هوارد رولاند رسالته هذه ، واما الان فمحمود درويش يعيش في البلدان العربية ، بعد ان غادر اسرائيل منذ عام ١٩٧١ (ع. ن.) .